



يؤشر الاهتمام الكبير الذي توليه وسائل الإعلام العالمية بأحداث نهاية العام الميلادي، والاحتفالات ذاتها ب نهايتها واستقبال آخر على مركزية الإعلام العالمي، ومدى هيمنته على المزاج العام في الدنيا، وتجيئه لمناسبات الاهتمام والاحتفاء في كثير من بلدان العالم، حتى لو لم تكن هذه المناسبة تمثل لكثيرين نقطة محورية أو نهاية لمرحلة ما من حياتهم.

يعطي هذا الاهتمام إشارة واضحة لقدرة خمس أو ست إمبراطوريات إعلامية ترسم المزاجات العامة للشعوب المختلفة، المتباعدة الثقافات، المختلفة الأجناس، المتعاكسة في العقائد والأيديولوجيات، قدرتها على تزويب الفروق، وصبغ الجميع أو معظم الشعوب بلون موحد تريده تلك الإمبراطوريات.

احتفالات شبه موحدة، فوضى سلوكية، افتراس للأخلاق والقيم، احتفاء بلا مناسبة حقيقة.. كل هذا معلوم حقيقة، لكن ما يقلق أكثر بعد الأثر العقدي، هو تلك القدرة العالمية لوسائل الإعلام في العالم على صرف الانتظار باتجاه ما تريده، وإساحتها الوجوه عما تريده، وفي جانب لا يبدو مزعجاً للبعض، كونه لا يسد - فيما يبدو لأول وهلة - سهامه إلى قلب العقائد والقيم والأخلاق، وهو جانب الاستعراض البحث لأحداث العام المنصرم.

تتبارى وسائل الإعلام في التذكير بأهم الأحداث التي مرت بالعالم خلال عام مضى، لكن هذا التباري ليس بريئاً في تناوله، فبجهد بسيط، إذا ما قمت باستعراض ذاتي لأهم الأحداث التي مرت بالعالم يمكنك أن تلحظ غياباً متعيناً لأحداث جسام مرت بالعالم، وإبرازاً لأخريات ليس بدرجة عالية من الأهمية، إلا من كونها تعني بما تريده تلك الإمبراطوريات الإعلامية للشعوب المطوعة أن تنصرف إليها.

وبإطلاة سريعة بوسعك أن تلحظ أن المجازر الرعيبة التي نفذتها الأنظمة الإرهابية في كل من موسكو وطهران ودمشق ضد المدنيين العزل في سوريا، واستخدامهم أبشع أنواع الأسلحة المتراوحة ما بين البراميل المتفجرة السورية ذات الأهداف الاعتباطية، والذكية الروسية، مروراً بالأدوات التقليدية لعشرات الميليشيات الدموية التي تدار من طهران، واستصحاباً لأسلحة فتاكه كالكيماوية وغيرها، كل هذا، الذي قتل وجرح وشرد الملايين لا يأخذ مكان عارضة أزياء أو فيلم حقق نجاحات في الاستعراض العالمي الموجه لأحداث العام!

ولن تجد عناء في معرفة سبب خفاء محكمة أركان أول نظام مصرى منتخب في التاريخ، والحكم بإعدام أول رئيس جلبه

الصناديق الانتخابية لمصر، ورئيس برلمانها، وعدد من الوزراء والمحافظين والأكاديميين والقضاة، فيما تحظى الطائرة الروسية الساقطة في صحراء سيناء المصرية على اهتمام يغطي كل ما تقدم.

لن تسمع أو تشاهد ما يمكن أن يجذب إلى شبه جزيرة القرم حيث سرقت بتوافق دولي، وصيرت محطة رغم عن أهلها من قبل روسيا، وستغيب الانتخابات في ميانمار حيث استبعد المسلمين من خوضها رغم ما قيل عن تعديتها، ولن تجد التفاصيل يذكر لمعاناة الروهينجا أو مسلمي إفريقيا الوسطى الذين تعمّل فيهم آلة العنف تقليلاً وتقطيعاً وتشريداً.

لا بد أن تلتفت إلى مسرحية "أكبر تظاهرة ضد الإرهاب" بعد شارلي إيبادو، فالمخرج يريدك أن تنظر بإمعان إليها، وتتذكرة جيداً بضعة أفراد قضوا هنا ليشعر كل أوروبي بأن الاتجاه إلى إدانة المسلمين المتدرجة ليست عملاً تعسفياً بل إجراء ضروريأً فرضه "الإرهاب".

ستجد أن اكتشاف المياه في المريخ هي أعظم أهمية وتأثيراً من الانقلاب الحوثي في اليمن، أو التطبيع الغربي مع إيران مع الاتفاق معها، أو الانتخابات التاريخية في تركيا التي وجهت كل ذي بصر لما توقع إليه شعوب المنطقة وما ترزو إليه.

ستخطئ في الاهتمام مشاهد كان ينبغي لها أن تكون حاضرة عن المسجد الأقصى، بما له من أهمية عالمية، والانتهاكات حد إطلاق النار في حرماته وساحاته، وحرق مصلاه القبلي، لكن لن تغيب عن ناظريك مشاهد مشاهد تمثيلية لداعش وهي تكسر تماثيل معبد في مدينة تدمر الأثرية.

سيطفي على كل هذا مشهد من فيلم جديد، أو عرض أزياء، أو رقم رياضي جديد، أو إنجاز تقني يحسب لـ"رواد الحضارة الجدد".

ستدقق قليلاً، وتكشف كثيراً كم هي المشاهد التي تأخذ بالأنظار، وبتلابيب العقول حتى تفكّر بعيداً.. بعيداً كثيراً عما ينفعها وينمي وعيها.

المسلم

المصادر: